

الوافي في الوفيات

خلعت علي بها الأراكة ظلها ... والغصن يصغي والحمام يحدث .
والشمس تجنح للغروب مريضة ... والرعد يرقى والغمامة تنفث .
وقول الرصافي : من البسيط .
غزير لم تزل في الغزل جائلة ... بنانه جولان الفكر في الغزل .
جذلان تلعب بالمحواك أنمله ... على السدى لعب الأيام بالدول .
ما إن يني تعب الأطراف مشتغلاً ... أفديه الطبي في أشراك محتبل .
لا يشق فيها غبارهم ولا تلحق إلا آثارهم وأما مثل قول ابن المعلم الواسطي : من الكامل .
رحلوا بأفئدة الرجال وغادروا ... بصورها فكراً هي الأشجان .
واستقبلوا الوادي فأطرقت المهي ... وتحيرت بغصونها الكثبان .
فكأنما اعترفت لهم بقدودها ... الأغصان أو بعيونها الغزلان .
وقول ابن التعاويذي : من البسيط .
إن قلت جرت على ضعفي يقول متى ... كان المحب من المحبوب منتصفا .
أو قلت أتلقت روعي قال لا عجب ... من ذاق طعم الهوى يوماً فما تلفا .
قد قلت الغصن ميال ومنعطف ... فكيف مال على ضعفي وما عطف .
فطاراز لا يلم له أهل بلادكم . فقلت : المحاسن - أعزك الله - مقسمة وفي المغاربة من تنفث
من أشعاره أسرار الكلام وتنم عليها أسرار الغرام مثل الوزير أبي الوليد ابن زيدون في
قصيدته التي منها : من البسيط .
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا .
وسرد ابن سعيد القصيدة . قال : ثم أمسكت . فقال : ما أنشأت أندلسكم مثل هذا الرجل في
الطريقة الغرامية وأظنه كان صادق العشق .
قلت : نعم كان يعشق أعلى منه قدراً وأرق حاشية وألطف طرفاً وهي ولادة بنت المستكفي
المرواني . علقها بقرطبة حضرة الملك . ثم إن ابن سعيد قص عليه ذكر جماعة من المغرب
وذكر انفصاليه من ذلك المجلس ثم قال : ووصلت إلى ميعاده فوجدته بخزانة كتبه فكانت أول
خزانة ملوكية رأيته لأنها تحتوي على خمسة آلاف سفر ونيف . وذكر أنه أمره بحفظ أشعار
التلعفري والحاجري وأنه قال له يوماً : أجز : فقلت : .
يا بان وادي الأجرع .
سقيت سحب الأدمع .

فقال له : قاربت ولكن طريقتنا أن تقول : .

هل ملت من شوقي معي .

فقلت : الحق ما عليه غطاء هذا أولى . ولازمته بعد ذلك نحو ثلاث سنين أنشده في أثنائها

ما يتزايد لي إلى أن أنشدته قولي : من البسيط .

وا طول شوقي إلى ثغور ... ملئ من الشهد والرحيق .

عنها أخذت الذي تراه ... يعذب في شعري الرقيق .

فارتاح وقال : سلكت جادة الطريق ما تحتاج إلى دليل . انتهى .

وكان بهاء الدين زهير كريماً فاضلاً حسن الأخلاق جميل الأوصاف . خدم الصالح أيوب وسافر

معه إلى الشرق . فلما ملك مصر بلغه أرفع المراتب ونفذه رسولاً إلى الناصر صاحب حلب يطلب

منه أن يسلم إليه عمه الصالح إسماعيل . فقال : كيف أسيره إليه وقد استجار بي وهو خال

أبي ليقتله ؟ فرجع البهاء زهير بذلك . فعظم على الصالح وسكت على حنق . ولما صار مريضاً

على المنصورة تغير على البهاء زهير وأبعده لأنه كان كثير التخیل والغضب والمعاقبة على

الوهم ولا يقبل عثرة والسيئة عنده ما تغفر